الحقيقة وعملية التاريخ

لا تقبل الحقيقة دائما ارأديا ، بل تفرض ذاتها من خلال مصداقيتها الداخلية ، أي ان الذات لا تقبلها بالضرورة بسبب اقتناعها بها ، بل لان هذه الحقيقة تصبح جزءا موضوعيا من الحقيقة التاريخية التي تنمو يوما بعد يوم . يصدق هذا بشكل دقيق على موقف الحزب الاشتراكي من القضية الفلسطينية التي بدأت تفرض نفسها عليه على الرغم من تقاليده الصهيونية العريقة .

حدد الحزب الاشتراكي موقفه من الشرق الاوسط في برنامجه الحكومي الصادر في عام ١٩٧٢ بالشكل التالي « ١ ــ الاعتراف بحق اسرائيل في البقاء والامن ، وكذلك بحق جميع الامم الاخرى في الشرق الاوسط بما فيها الامة العربية الفلسطينية . ٢ ــ تثبيت الحدود بشكل نهائي وذلك عبر مفاوضات بين الجوانب المعنية ، مع الانسحاب من المناطق المحتلة . وتعتمد هذه المبادىء على قرار الامم المتحدة الصادر في عام ١٩٤٧ والذي كرس ولادة اسرائيل ، والقرارات الصادرة في عام ١٩٦٧ ».

ويلاحظ هنا ان الحزب الاشتراكي يشير الى حقوق الشعب الفلسطيني ولكن بشكل غامض يفقده أية دلالة محسوسة ، وعلى نقيض ذلك نرى ان موقفه ازاء اسرائيل دقيق كل الدقة ، فهناك « الحق في الوجود والامن » و « تثبيت الحدود » و « المفاوضات » . ان قراءة سريعة لدلالة المفردات المستعملة تظهر ــ الى حد ما ــ تطابقا بين هذه المواقف وموقف الحكومة الاسرائيلية .

كما ان اشارة الحزب الاشتراكي الى قرارات الامم شائهة ومحرفة ، فهو يتكلم عن « تثبيت حدود نهائية بالمفاوضات بين الاطراف المعنية ، ثم الانسحاب من الاراضي المحتلة » في حين ان قرار مجلس الامن حدد الانسحاب الشامل كشرط رئيسي للبدء في أي عمل آخر(٢٥).

طرأ على هذا الموقف تغير عند صدور برنامج مشترك بين الشيوعيين والاشتراكيين، فاصبح كما يلي : « العمل من أجل اعادة السلام والامن الى الشرق الاوسط ، مع احترام حق كل دولة من دول المنطقة بالوجود، واحترام سيادتها وخاصة دولة اسرائيل، وكذلك احترام الحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني »(٢٦).

ويعود اعتدال الاشتراكيين هنا الى الدور الذي مارسه الشيوعيون ــ ولا يزالون ــ في كبح المواقف الصهيونية عند الحزب الاشتراكي . وقد كان الموقف من الشرق الاوسط من أكثر المسائل تعقدا ابان محادثات الطرفين ــ الشيوعي والاشتراكي ــ وكاد ان يؤدي الى تعثر ومراوحة المحادثات وذلك بسبب تعنت صهيونيي الحزب الاشتراكي .

ان تطور القضية الفلسطينية كحركة وطنية تحررية تقاتل قوة رجعية كولونيالية ، أجبر حتى أحزاب الاممية الاشتراكية على الاعتراف « بواقع الشعب الفلسطيني » . ان هذا المعطى الجديد جعل منطق الاشتراكيين يسير باتجاه ايجابي رغم تعثراته ، وتتوارى هذه الفترات كلما تقدمت الحركة الفلسطينية . نعثر على دائرية الاتجاه الايجابي والعثرات في لحظتين اساسيتين لميتران في عام ١٩٧٤ .

تظهر اللحظة الاولى ، عندما أرسل رسالة بتاريخ ٢٤ نيسان الى هنري بولافكو ، السكرتير العام لحلقة برنارد لازار الصهيونية والناطقة باسم حزب المابام بشكل خاص واسرائيل بشكل عام . يقول ميتران في رسالته « ان مواقفي السابقة والتي دافعت عنها بثبات وداب تشكل ضمانا لوجود ومستقبل دولة اسرائيل . واذا انتخبت رئيسا للجمهورية ، فان فرنسا ستكون على أعلى مستوى من المسؤولية من أجل الدفاع عن امن اسرائيل »(٢٧).